جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-
كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار

قسم علم الآثار
المستوى: السداسي الأول ؛ سنة أولى ماستر.
عنوان المقياس: تقنيات العمل الميداني

السّنة الجامعية: 2022/2021م
التّخصص: الصيانة والترميم
أستاذ المقياس: قادة لبتر

الرقم 6

عنوان الدّرس: المناهج الميدانية لدراسة المخلفات الأثرية

- أهداف الدّرس:

على الأثري التحلي بالكثير من التأني والتدرج في التعامل مع الآثار ميدانيا، والالتزام بأهم الخطوات اللازمة لنجاح العمل الأثري، علما أن كل باحث أثري يستفيد ممن سبقه ويحاول أن يكيف عمله من زوايا جديدة لم تأخذ من قبل بعين الاعتبار، لذلك فعلى الدارس للآثار تكوين نفسه من الناحية التقنية والميدانية ومحاولة إتباع طرق منهجية موحدة وشاملة في نفس الوقت .

- عناصر الدّرس.

مقدمة

1) أهمية المصادر في العمل الميداني

2) منهج تأويل المعطيات الأثرية

3) منهج دراسة المجال الأثري الحضري والريفي

4) منهج دراسة المخلفات الأثرية

5) منهج الدراسة الأثرية للمعالم

خاتمة

مقدمة:

لكل بحث علمي ميداني تقنيات ومناهج يتبعها حسب طبيعة الدراسة والأهداف المسطرة لذلك، من بين هذه الأبحاث العلمية نجد البحث الأثري الميداني، الذي يعد الوسيلة الأساسية لإثبات الوقائع التاريخية والتأكد من صحتها، لذلك فالمنهج العلمي للعمل الأثري الميداني يفرض على الباحث تدوين كل المكتشفات الأثرية ووصفها وصفا دقيقا، هذه العملية يجب أن تكون بالاعتماد على الوثائق التي توفرها المراجع والمصادر بمختلف أنواعها على الرغم من أنها في بعض الأحيان قد تحتوي على نقائص ومعلومات غير مكتملة أو يشوبها بعض التناقضات.

عطفا على ما سبق، فالعمل الأثري الميداني يرتبط بالدراسات المتوفرة في مجال البحث المحدد، وبالمنطقة وخصوصياتها، وخاصة المصادر التي عاصرت زمنيا فترة البحث الميداني المراد القيام به، فهي تساعد الباحث على إثارة ومناقشة الإشكاليات الرئيسية المتعلقة بموضوع بحثه. إضافة إلى توفير أهم المعطيات التي يحتاجها المعني بالقيام بالعمل الميداني.

1) **أهمية المصادر في العمل الميداني:**

إن العمل الميداني الأثري يجب أن يسبقه أولا، ثم يرافقه ثانيا عمل وثائقي دقيق وممنهج، الهدف منه إنشاء قاعدة من المعلومات التي تسهل على الباحث في الميدان التعرف على ما يقوم بدراسته أو يكتشفه في بعض الأحيان، كما تسهل عليه تسطير الأهداف الموضوعية وضبط خططه الميدانية، منطلقا من طرح إشكاليات علمية، تشكل الحافز الرئيسي لإثارة فضوله وشغفه البحثي، والابتعاد عن العشوائية والفوضوية في التعامل مع المكتشفات الأثرية، وهنا تكمن أهمية التكامل بين علمي التاريخ والآثار الذين يغذي أحدها الآخر فإذا كان التاريخ يوفر لنا عدّة معطيات نظرية عن موضوع ما فإن علم الآثار يتحقق من مدى صحّة هذه المعلومات على أرض الواقع .

2) **منهج تأويل المعطيات الأثرية:**

المخلفات الأثرية هي شواهد على واقع معين ومنطلق لاستنتاجات عدة لذلك يجب ضبط مقاييس محدّدة حتى تضمن لها هذه الوثائق المصداقية العلمية الواضحة المعالم، وتمكننا من الانتقال من مرحلة المعاينة المجرّدة إلى مرحلة التأويل والاستنتاج، لضمان مصداقية قصوى لعملنا لا بد من تتبع الشاهد الأثري منذ العثور عليه. باعتبار علم الآثار يهدف لكتابة التاريخ فإن البعد الزمني هو من أهم الأبعاد للشواهد الأثرية، لذلك يجب السعي لتحديد الإطار الزمني للأثر بكل الوسائل والتقنيات المتاحة، ثم الانتقال إلى التركيز على الإطار التي وجدت فيه المخلفات الأثرية، لأن المعطى الجغرافي كذلك عنصر هام جدا في الدراسة الأثرية، ومن هذه الزاوية هناك تشابه كبير بين أبعاد الدراسة الأثرية والتاريخية . الاهتمام بالجانب الجغرافي يحتم فهم طبيعة الموقع الأثري و مكوناته الطبيعية ثم الذهاب إلى تحقيق الغاية من الدراسة حسب نوع العمل الميداني كالتنميط أو التنقيب أو الترميم ..... الخ.

من الضروري في الدراسة الميدانية أن نستعين بالمقارنة بين الأثر وغيره من أمثاله، والتي وجدت في مواضع مختلفة وهذا شرط أساسي ومنهجي في الدراسة لمزيد التحري في مسألة الإطار الزمني لشواهدنا الأثرية. غير أن المقارنة لها ضوابط مسبقة من حيث الانتماء إلى نفس الصنف والتقيد بالأطر الزمنية والمكانية، فعلى سبيل المثال لا يمكن أن نقارن بين بنايتين أو معلمين أثريين، إلا إذا كانا يتماثلان في عدة نقاط منها الوظيفة أو مواد وتقنيات البناء، فليس من المنطقي المقارنة بين المنازل والمقابر مثلا . هذا المنهج المقارن يؤدي بالباحثين لتجميع أقصى ما يمكن من المعلومات عن الآثار المتشابهة أو المتطابقة حتى يمكنهم التعرف على طبيعة الأثر الذي وقع اكتشافه وتحديد أصالته، وبالنسبة للفخار كمثال آخر، يجب التفرقة بين ما عثر عليه في مكانه الأصلي، وبين ما عثر عليه في غير مكانه، لأن اختلاف إطار العثور يغير الاستنتاجات التي يمكن التوصل إليها.

بالنسبة للتفسير والقراءة الزمنية أثناء التنقيب الأثري، بعد هام في العمل الأثري الميداني ولن يكون سليما إذا لم يقع احترام شروط التتابع الطبقي في عملية الحفر الأثري ، في الحقيقة مبدأ التتابع الطبقي ليس حكرا على علم الآثار ، كما سيتم الإشارة إليه في المحاضرات المقبلة. باعتباره يعكس تسلسلا زمنيا حيث تكون الطبقة السفلى أقدم من الطبقات التي تعلوها . ورغم أن علم الآثار يستفيد من مبدأ التتابع الطبقي لكنه لا يعممه نظرا لبعض الحالات الخاصة التي يختل فيها التتابع الطبقي مما يتطلب من الأثري الحذر في قراءة الطبقات التي تم الكشف عنها. لكن من الملحوظ أنه في بعض الحفريات لا يمكن التوصل إلى تأريخ الطبقات لذلك يجب التحري في التاريخ المنسوب لأي عمل أثري وهل هو ناتج عن معطيات نابعة من قراءة الطبقات الأثرية أو من معطيات أخرى كالمصادر أو عمليات تقريبية لشكل المعمار ونمطه أو غير ذلك من المعطيات.

3) منهج دراسة المجال الأثري الحضري والريفي:

المجال الحضري: متابعة النشاط الأثري داخل المدن وهو ما يسمى بعلم الآثار الحضري ، عمل صعب نظرا لتواصل السكن في المدن عبر الأجيال مما يجعل ظروف العمل الميداني صعبة ، لذلك يتحين الأثريون فرصة الأشغال العامة والتهيئة الحضرية للتمكن من مراقبة الطبقات الأرضية والقيام بحفريات استطلاع أو إنقاذ في صورة وجود مكتشفات تستدعي الدراسة .

وللتمكن من الدراسة الأثرية في المجال الحضري، يجب الانطلاق من تخطيط كامل ودقيق لشبكاتها الحضرية. ونستطيع الاستعانة بالصور الجوية لإنجاز هذه التصاميم مع اعتبار طبوغرافية الموقع التي غالبا ما يكون لها تأثيرات مباشرة على التوسع العمراني للمدينة .

ثم نقوم بتحديد وتسجيل المعالم الأثرية والتاريخية على المخطط العام للمدينة.

وإذا كانت هذه المعالم كثيرة العدد يقع رسم معالم كل فترة في تخطيط مستقل .

ثم ننتقل إلى رصد مراحل تنظيم المدينة مع الانتباه للعلاقة بين المعالم والمسالك وخاصة المسالك الرئيسية التي عادة ما يقع الاحتفاظ بها عبر فترات مختلفة .

ثم نحاول البحث عن علاقة بعض المكونات الحضرية ببعضها التي تبدو في المخطط العام متناثرة .
تحيد مراحل توسع النسيج الحضري للمدن المدروسة، مع الحذر في إطلاق استنتاجات منذ البداية لذلك فالتحقق الميداني و تأريخ كل الوحدات هام.

المجال الريفي: الريف يحتل مكانة مركزية في حياة المجتمعات القديمة باعتبار طغيان الطابع الفلاحي على نمط عيشها لذلك يصعب فهم تلك المجتمعات، دون دراسة هيكلة المجال الريفي وعلاقته بالمجال الحضري ، رغم صعوبة دراسة المجال الريفي لغياب الآثار البارزة وعسر ظروف العمل فإن دراسته بطريقة علمية ذات نتائج جد إيجابية . دراسة المجال الريفي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار العامل الطبيعي والتضاريسي وهو ما يسمى بالوحدة الطبيعية التي هي تفاعل بين معطيات بيئية (نبات ، تربة ، ...) وحدود تضاريسية (أودية ، جبال ،...) وكذلك يجب اعتبار العامل المناخي (عوامل الطقس والرطوبة والتساقطات ...) هذه المعطيات تحتم تكون المسالك وانتصاب القرى ونوعية النشاط الزراعي وكنتيجة لذلك تطور التجمعات الحضرية نحو أن تصبح مدنا وهو ما يقتضي حضورا سياسيا وتنظيما ينطلق في الواقع من الإمكانيات الريفية للمنطقة فيطوره.

4) <u>منهج دراسة المخلفات الأثرية المنقولة :</u>

كانت الآثار بكل أنواعها تدرس في البداية لغايات جمالية أو فنية بحتة، مما يغيب في بعض الأحيان الجانب الموضوعي العلمي من الدراسة، تدريجيا تفطن الأثريون لأهمية ما يعثر عليه من مواد في دراسة الثقافة المادية لحضارات السابقة، فتوجهوا إلى العناية بمختلف أنواع المخلفات الأثرية، حسب كثرة انتشارها في المواقع الأثرية ومقاومتها لعوامل الزمن، حيث أصبحت دراستها مناهج وعلوما قائمة على أسس مكملة لعلم الآثار

1.4. منهج دراسة الفخار:

علم دراسة الفخاريات حديث النشأة و قد فرضت هذه المادة نفسها على الباحثين لانتشارها في المواقع الأثرية . بتطور الدراسات صار هذا الاختصاص علما قائم يقوم على عدة تقنيات من تصوير ، إلى جانب قواعد الفرز والإحصاء في تجميع الفخار، ثم مناهج التصنيف والتأريخ، وإعادة الشكل الكامل للأواني خاصة أنه في جل الأوقات نعثر على الخزف في شكل قطع وأجزاء

بالنسبة لطريقة انتقاء الفخار من المجموعة الكبيرة المتحصل عليها من أي عمل ميداني، لا بد من فرز مبدئي يتم خلاله انتقاء أهم القطع والاحتفاظ بالقطع الأكثر إفادة في الدراسة (قاع، حافة ، عنق ...) أو لها قيمة زخرفية أو وثائقية كأن تكون بها نقيشة مثلا أو شظايا تطرح مشكلا ولا نفهم شكلها.

هذه العمليات التحضيرية تساعدنا في الإعداد لمرحلة التصنيف، الذي يفيدنا في ضبط تاريخ الموقع وكذلك في التعرف على عدة أوجه للنشاط الحرفي والتجاري والعقائدي ...

ويقوم التصنيف على:

- حسب تقنية الصنع؛ كالمصنوعة باليد أو بالدولاب وذلك حسب الملمس.

- حسب الوظيفة؛ إذ لا يمكن المقارنة بين قطع لها وظائف متباينة فهناك تصنيف للأواني حسب استخدامها كأواني التخزين و النقل مثل الجرار بأنواعها و أواني المطبخ و أواني الإنارة و التماثيل الفخارية
- حسب التحليل التقني للفخار؛ كلون الطينة و درجة سمكها و تركيبة العجينة إضافة إلى تقنية تزو يق الأواني و زخرفتها
- ثم ننتقل إلى الدراسة العلمية التي تمر عبر الوصف و الرسم ثم التصنيف و المقارنة بما أكتشف ودرس من أنواع فخارية مشابهة.

2.4. دراسة المعادن (وخاصة القطع النقدية:

للمعادن أهمية كبيرة في البحث الأثري الميداني وخاصة العملات والمسكوكات، باعتبارها تمكننا من تاريخ الطبقات و من دراسة التاريخ الاقتصادي، كما هو الحال بالنسبة للفخار فان القطع النقدية المكتشفة أثناء الحفر تخضع إلى دراسة دقيقة تبدأ بوصف حالة القطع وبتحديد حجمها ووزنها وضبط معدنها وعيارها وهي نسبة المعادن المكونة للقطعة.

بعد هذه المرحلة المادية نمر إلى مرحلة التأويل وفهم أقصى ما يمكن من الجوانب الفنية والحضارية، مثل النص المنقوش على القطعة أو الصور التي تحملها وتتعلق هذه الجوانب بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية للفترة التي تؤرخ لها العملات المكتشفة. لكن يجب الحذر من بعض السقطات التي قد نقع فيها، فمثلا العثور على نقد يحمل اسم إمبراطور في طبقة أثرية لا يعني حتما أن تلك الطبقة تؤرخ لتلك الفترة لذلك يجب الحذر في تقديم الاستنتاجات ومقارنتها بمعطيات مرتكزة على مؤشرات أخرى.

5) منهج الدراسة الأثرية للمعالم:

- أول مرحلة في التعامل مع المباني تتمثل في وضع تخطيط دقيق لها. ويكتسي هذا العمل أهمية أكثر كلما كانت حالة المعلم متدهورة لأنه يمكننا من إعادة تركيب العناصر المتباعدة التي لا تتفطن لها عين المشاهد
- ثم نقوم بعملية المقارنة بين المبنى المدروس وبين نماذج أخرى تنتمي لنفس الصنف في نفس الرقعة الجغرافية وخارجها .
- ثم ننتقل إلى الدراسة المستقلة للمعلم ، بالبحث عن إطاره المعماري والحضري داخل المدينة أو للموقع بأكمله لأنه بتدقيق النظر نلاحظ تفاعلا كبيرا بين الجزء الذي يمثله البناء والكل الذي تمثله المدينة وجغرافيتها.
- أما بخصوص تاريخ المعالم وهذا جانب هام للدراسة الأثرية فإن الإشارات المستمدة من البناء عادة ما تكون تقريبية ونستعين غالبا بالنقائش المكتشفة في المعالم مع الحذر في استعمالها لأنها يمكن أن تكون لاحقة لتاريخ البناء الفعلي كما أنها تتعرض أحيانا لعمليات تحوير رسمية كلما وقع

إدخال تغييرات على المعالم مما يضيّع علينا التاريخ الأقدم . وغالبا ما تعيننا النصوص في التحري في تاريخ المعالم وخاصة المعالم الرسمية التي عادة ما تخلدها المصادر.

- كما يمكن ضبط تاريخ المعالم بأكثر دقة وذلك بالقيام بمجسات وأسبار محدودة الاتساع تقام في بعض الأماكن من المعلم.
- كما تساعدنا المخلفات الأثرية على التحقق من تاريخ البناء وعلى مختلف مراحل استعماله.
- إضافة لذلك تقدم لنا العناصر الإنشائية والزخرفية في المعلم الأثري كالتيجان والفسيفساء قراءة تاريخية تقريبية ، لأنها يمكن أن يقع تغيرها باستمرار دون إدخال تغيير عام كامل البناء.
- على الأثرى القيام بتقرير وصفي للمعلم الذي يدرسه مبرزا الأبعاد التاريخية والمعمارية للمعلم حتى ولو كانت الاستنتاجات وقتية أو مجرد افتراضات علمية تحتاج لميز التحميص والتعمق.

خاتمة

خلال السنوات الأخيرة تطورت مناهج البحث الأثري الميداني تدريجيا، مما أدى إلى تشعب اختصاصاته وكثرة حاجتها إلى تخصصات تقنية تسهل عملية البحث والتقصي الميداني، كذلك حتمت على الأثري الكثير من التأني والتدرج في التعامل مع الآثار ميدانيا، والالتزام بأهم الخطوات اللازمة لنجاح العمل الأثري، علما أن كل باحث أثري يستفيد ممن سبقه ويحاول أن يكيف عمله من زوايا جديدة لم تأخذ قبل بعين الاعتبار، لذلك فعلى المهتم بالمجال الأثري تكوين نفسه من الناحية التقنية والميدانية ومحاولة إتباع طرق منهجية موحدة وشاملة في نفس الوقت .

المراجع: .....

- رود ريغو مارتين غلان، مناهج البحث الأثري ومشكلاته، تعريب خالد غنيم، دمشق 1998.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حركة التنقيب على الآثار ومشكلاته في الوطن العربي، تونس 1989.
- نور الدين الحرازي – فوزي محفوظ ، المبتدأ في الآثار، تونس 1996

- https://doi.org/10.1016/B978-0-12-003103-0.50008-3
- Archaeological Dialogues , Volume 10 , Issue 1 , October 2003 , pp. 97 - 117
- DOI: https://doi.org/10.1017/S1380203803001107
- Encyclopédia Universalis, Archéologie, volume2, p.795-838.
- Philippe Jockey, L'archéologie, éditions Belin , Paris 1999.
- Réné Giouvès, L'archéologie gréco-romaine, Paris 1975, Collection Que sais-je ? n°54.
- Bernard Hofman, L'archéologie en dix leçons, Paris , Hachette ، 1980.